مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

قسم علم تعليم العربية وتعليم اللغات المقارن

الكتاب المدرسي في المنظومة التربوية الجزائرية واقع وآفاق

أعمال الملتقى الوطني المنظم بالجزائر

يومي 24 و25 نوفمبر 2007

جوان 2008

ISBN : 978-9961-9660-6-8 ردمك :
Dépôt Légal : 2008-1887 الإيداع القانوني:

الفهرس

الإشكالية العامة للملتقى.....9

الكلمة الافتتاحية للسيد مدير المركز.....11

كلمة السيدة الوزيرة المنتدبة المكلفة بالبحث العلمي والتطوير التكنولوجي.....15

وقفة وفاء لذكرى المرحوم الدكتور عثمان حشلاف

كلمة السيد مدير المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الانسانية.....19

كلمة السيد رئيس المجلس العلمي للمركز.....25

كلمة السيد مدير مخبر أطلس الثقافة الشعبية.....27

المحاضرة الافتتاحية

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

الرصيد اللغوي للطفل العربي وأهمية الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر.....31

المحور الأول : علاقة الكتاب المدرسي بالمنهاج

الشريف مريبعي

صعوبات تأليف كتاب اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة الثانوية انطلاقا من المنهاج الرسمي -عرض تجربة خاصة-.....47

شريفة غطاس ومفتاح بن عروس

معالم التجديد في كتب اللغة العربية للمرحلة الابتدائية -سلسلة رياض النصوص-.....53

الطاهر لوصيف

الانسجام بين المنهاج والكتاب التعليمي -دراسة نموذج "منهاج اللغة العربية وكتاب تعليم اللغة والأدب والنصوص «المشوق» للسنة الأولى من التعليم الثانوي، آداب..." -.....61

شفيقة العلوي

المقاربة بالكفاءة وبيداغوجيا تعليم القواعد في المرحلة الثانوية -وصف ميداني- 69

كريمة أوشيش حماش وفتيحة خلوت

بيداغوجيا التعليم الجديدة وكيفية تطبيقها في تعليم اللغة العربية وتعلمها -السنة الأولى متوسط نموذجا- 75

المحور الثاني : تقييم وتقويم محتويات كتاب اللغة العربية

أحمد محمد عوني

دراسة تحليلية تقويمية لمضامين وأهداف كتاب "اللغة العربية وآدابها" للسنة الثالثة ثانوي طبقا للبرنامج الجديد.....89

محمد تحريشي وعبد الحفيظ تحريشي

تعليمية القواعد في المدرسة الابتدائية الجزائرية -كتاب السنة الثالثة أنموذجا-.....109

علي تعوينات

شبكة تقييم الكتاب المدرسي.....125

يوسف منصر

واقع التمارين اللغوية في الكتب المدرسية الجزائرية.....141

صفية مطاهري

أهمية النص في العملية التعليمية 153

عبد السلام شقروش

أثر النصوص في بناء النظم اللسانية لدى المتعلم -مقاربة توليدية تحويلية- 173

محمد الأمين خلادي

تعليمية الاختيار وفاعليته التربوية بين تقويم المعلم وتلقي المتعلم-قراءة ميدانية في نصوص كتاب اللغة العربية وموضوعاته- السنة الخامسة من التعليم الابتدائي نموذجا.....181

صليحة مكي وحبيبة بودلعة العماري

دراسة مقارنة بين كتاب السنة الأولى متوسط وكتاب السنة السابعة أساسي -نشاط قواعد اللّغة العربية نموذجا- 217

آسيا بومعراف وفوزية بداوي
صعوبات تعلم القراءة لدى تلاميذ السنة الرابعة من التعليم الأساسي.....233

المحور الثالث : الكتاب المدرسي وعلاقته بالمعلم والمتعلم

الطاهر بوغازي
علاقة الكتاب المدرسي بالقيم التربوية.....255

محمد عبد العزيز
الكتاب المدرسي ووظائفه التعليمية والتعلمية.....267

خديجة أصنامي
كتاب اللغة العربية وعلاقته بالمعلم والمتعلم.....277

المحور الرابع : آليات صناعة الكتاب المدرسي

إسماعيل إلمان
الكتاب المدرسي: تربية وصناعة.....293

لطيفة منصر هباشي
معايير صناعة الكتاب المدرسي بالجزائر بين النظري والتطبيق.....305

سليمة بن مدور
عناصر الإخراج الطباعي للكتب المدرسية ومواصفاتها.....319

المحور الخامس : مكانة الكتاب المدرسي في عصر الإعلام والاتصال

صالح بلعيد
مضمون كتاب اللغة العربية المدرسي في القرن الواحد والعشرين.....339

عبد الواحد شريفي
الكتاب المدرسي بوصفه مصدرا للثقافة العلمية.....357

جازية فرقاني
التعليم بين الكتاب المدرسي والحاسوب -القراءة أنموذجا- 365

توصيات الملتقى

تقرير لجنة التوصيات.....377

الإشكالية العامة للملتقى

اللجنة العلمية للملتقى

شهدت المدرسة الجزائرية في السنوات الأخيرة حركة نشيطة في إصلاح منظومتها التربوية أفضت إلى مراجعة المناهج الدراسية وتحديثها من حيث التصور والبناء ودعمها بوثائق مرافقة، وكذا تجديد الكتب المدرسية من حيث الصناعة والإنجاز.

ويعد الكتاب المدرسي مكوّنا من مكونات المسار التعلّمي التعليمي ؛ إذ يشكل الإطار الذي ينظّم فيه محتوى ومضمون الوحدات التعلّمية التعليمية قصد بلوغ مجموعة من الأهداف التربوية التعليمية ؛ فهو سند بيداغوجي للمعلّم والمتعلم معا لتحقيق ملكة العربية من خلال التحكم في الكفاءات اللّغوية الأساسية الأربع، وهي إجادة الإصغاء والتحدث والقراءة والكتابة.

ونظرا للخصوصيات التي يتميز بها الكتاب المدرسي في المنظومة التربوية الجزائرية ؛ باعتباره أهم الأدوات التي من المفروض أن تترجم ما جاء في المنهاج من حيث المحتويات التعليمية وطريقة عرضها على المتعلّم، والكفاءات التي تستهدفها، وكيفية تقييمها وتقويمها، كانت هذه المبادرة لعقد ملتقى علمي أكاديمي يتناول فيه المختصون بالدراسة والتحليل الكتب المدرسية المقترحة لتعلّم اللغة العربية وتعليمها في مختلف أطوار التعليم (الابتدائي والمتوسط والثانوي) ومدى تمثلها للمناهج الدراسية، وهذا وفق المحاور التالية :

المحور الأول : علاقة الكتاب المدرسي بالمنهاج ؛ يتناول عرض المبادئ الأساسية للمقاربة الجديدة، والكيفية التي يتم من خلالها تطبيق المنهاج واختياراته الخاصة بتعليم اللغة العربية وتعلمها في الكتاب المدرسي، والسندات المرافقة له (الدليل وغيره).

المحور الثاني : تقييم وتقويم محتويات كتاب اللغة العربية ؛ يتناول بالدراسة والتقييم مضامين الكتاب المدرسي من ناحية المفردات والتراكيب اللغوية، والتدريبات

وأنشطة التعلّم، والنصوص والموضوعات، وكذا الكفاءات المراد تحقيقها في نهاية كل مرحلة تعليمية، وكذا القيم التي يروم تلقينها.

المحور الثالث : الكتاب المدرسي وعلاقته بالمعلم والمتعلّم ؛ يتناول الكتاب المدرسي بوصفه سندا بيداغوجيا يعتمد عليه المعلم في إعداد دروسه، ومرجعا يتلقى منه المتعلّم معلوماته ويساعده على التعلّم.

المحور الرابع : آليات صناعة الكتاب المدرسي ؛ يتناول مواصفات الكتاب المدرسي من حيث التأليف والإخراج والطباعة (الصور التوضيحية، الألوان، الخط، نوعية الورق، الحجم، الغلاف الخارجي... إلخ).

المحور الخامس : مكانة الكتاب المدرسي في عصر الإعلام والاتصال ؛ يتناول الكتاب المدرسي كمصدر للمعرفة ودور الوسائل التكنولوجية الحديثة للإعلام والاتصال في عملية التعليم والتعلّم (الإنترنيت والمكتبات الافتراضية والأقراص المضغوطة السمعية البصرية وغيرها).

اللجنة العلمية للملتقى

أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح

أ.د. رشيد بن مالك

أ.د. صالح بلعيد

أ.د. محمد يحياتن

أ.د. الشريف مريبعي

أ.د. خولة طالب الإبراهيمي

د. الطاهر لوصيف

أ. إسماعيل إلمان

أ.د. تعوينات علي

أ. فتيحة خلوت

أ. حبيبة بودلعة

أ. كريمة أوشيش

أ. صليحة مكي

الكلمة الافتتاحيّة

رشيد بن مالك
مدير مركز البحث العلمي
والتقني لتطوير اللّغة العربية

السّيدة الوزيرة المنتدبة المكلفة بالبحث العلمي والتطوير التكنولوجي،
السّيد رئيس المجمع الجزائري للغة العربية،
السّيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية،
السّادة الحضور،

تعتبر المنظومة التربوية من أهم الميادين التي انطلقت منها الإصلاحات في الجزائر. وقد رافقتها تعبئة مجموعة كبيرة من المختصين والخبراء والباحثين من مختلف المؤسسات البحثية التابعة لوزارة التربية ومؤسسات التعليم العالي.

وعمل هؤلاء وأولئك في آجال قياسيّة على اقتراح مناهج وسندات تربوية تتوافق مع كل سنة من سنوات النظام التربوي الجزائري.

إن وقوع اختيارنا على الكتاب المدرسي لم يكن أبداً اعتباطيًا، بل جاء بعد طول تفكير، مقصوداً لأهميته. فالكتاب المدرسي يعدّ مؤلّفاً رسمياً تصدره وزارة التربية الوطنية وتستثمر ميزانية ضخمة في صناعته وإخراجه وتوزيعه ودعم قدرة أولياء التلاميذ الشرائية لاقتنائه.

وعلى هذا الأساس، ينبغي أن تكون ورشة إعداد الكتاب المدرسي مشتركة يلتقي فيها جميع الخبراء من شتى المجالات. وهو مسؤولية الجميع وليس حكراً على مؤلّف أو وزارة محددة ذلك أن كلّ مختص في التعليميات وعلم النفس التربوي والإخراج الطباعي واللسانيات والنحو، وحتى الفن التشكيلي، يجب أن يساهم فيه بتضافر الجهود ما دام هذا الكتاب موجّها لأبنائنا وأجيال بأكملها.

إننا بعملنا هذا لا نسعى إلى احتلال وأخذ موقع رجال التربية وإطاراتها، وإنما نسعى بتطفّلنا على مجال اختصاصهم، إلى دعم الانفتاح العلمي في بلادنا على مختلف القطاعات الاجتماعية والثقافية. فعملنا كباحثين مكمّل لعمل إطارات وزارة التربية الذين نكنّ لهم كل الاحترام والتقدير. وفي إطار البحث العلميّ في حقل التعليمية تجدر الإشارة إلى عشرات بحوث الماجستير والدكتوراه التي أنجزت في تحليل المناهج والمقرّرات والكتب المدرسية قبل الإصلاح، وحتى كتب الإصلاح الأخير هي موضع بحث ودراسة. وأذكر هنا على سبيل المثال أطروحة دكتوراه الدولة التي أعدها الأستاذ "الطاهر لوصيف" عن كتاب اللغة العربية للسّنة الأولى من التعليم الثانوي.

نحن سعداء بتقديم هذا البرنامج الثريّ والمتنوع، الذي يضمّ بحوثا علميّة لأساتذة ومختصين من مختلف جامعات الجزائر : تيارت، وهران، عنابة، أدرار، بشار، تلمسان تيزي وزو، الجزائر. وقد توزّعت إسهاماتهم على المحاور البحثية الآتية :

- علاقة الكتاب المدرسي بالمنهاج،
- تقييم وتقويم محتويات كتاب اللغة العربية،
- الكتاب المدرسي وعلاقته بالمعلم والمتعلم،
- آلية صناعة الكتاب المدرسي،
- مكانة الكتاب المدرسي في عصر الإعلام والاتصال.

ومن الواضح أنّ هذه المداخلات في تحليلها لما جاء في مختلف الكتب المدرسية، تهدف أوّلاً وقبل كل شيء إلى المساهمة العلميّة البنّاءة في هذه الحركة الإصلاحية الكبيرة.

ولا يسعني إلاّ أن أشكر كلّ الباحثين الذين قدموا من مختلف جهات الوطن وتجشّموا عناء السّفر واستجابوا لدعوتنا للمشاركة في هذا الملتقى، على الرغم من انشغالاتهم الكثيرة. وأشكرهم مسبقا على مساهمتهم في تفعيل هذا الملتقى العلميّ، في الفضاءات المخصّصة للمناقشة وكذا تنشيط وإثراء محتوى الورشات المقترحة في آخر جلسة من اليوم الثاني.

إنّ هذا اللقاء العلمي المتميز كفيل بتوسيع شبكة البحث في اللسانيات والترجمة التي أرست قواعدها السيدة الوزيرة المنتدبة للبحث بتنصيبها في 2006/11/20 وتعبئة الباحثين للالتفاف حول موضوعات مشتركة يرونها مناسبة. وسنيسّر عليهم هذا العمل بتوزيع استمارة تملأ وتسلم إلى أمانة الملتقى.

نستغل هذه الفرصة لنسدي الشكر الجزيل لأستاذ الجيل الدكتور "عبد الرحمن الحاج صالح" الرائد في مجال اللسانيات، والذي خصّ ميدان التعليميات باهتمام كبير نتج عنه تكوين مجموعة كبيرة من الباحثين الجزائريين في هذا الميدان، وتأسيس تخصّص التعليميات والتعليم المقارن في المركز، وماجستير علوم اللسان والتبليغ اللغوي، والإشراف على بحوث وأطروحات طلبة جزائريين بحثوا في قضايا دقيقة. ومن ثمار هذا التكوين هذه الفرقة التي اضطلعت بالتحضير لهذا الملتقى منذ أزيد من ثمانية أشهر، والمتكونة من :

فتيحة خلوت.

حبيبة بودلعة.

صليحة مكّي.

كريمة أوشيش.

أشكرهم جزيل الشكر. كما لا يفوتني أن أنوّه بأعضاء اللجنة التنظيمية وعلى رأسها محند قاسي واللجنة العلمية وعلى رأسها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح على ما بذلته من جهود في سبيل إنجاح هذه التظاهرة العلمية.

كلمة السيدة الوزيرة المنتدبة المكلفة بالبحث العلمي والتطوير التكنولوجي

بسم الله الرحمن الرحيم

السّيد وزير التربية الوطنية،

السّيد مدير مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية،

زميلاتي وزملائي الأعزّاء،

السّيدات والسّادة الحضور،

لقد بذلت السلطات العمومية في السنوات الأخيرة مجهودا معتبرا في إطار إصلاح المنظومة التربوية الوطنية أدى إلى مراجعة البرامج التعليمية والمناهج الدراسية وتحديثها وتجديد الكتب المدرسية.

يعتبر الكتاب المدرسيّ الأداة البيداغوجية التي تكتسي أهمية بالغة في المسار التعلّمي والتعليمي ؛ حيث يشكّل الوعاء الذي تنظم فيه الوحدات التعليمية قصد بلوغ الأهداف التربوية المسطّرة. ونظرا للخصوصيات التي يتميز بها الكتاب المدرسيّ باعتباره أهمّ الأدوات التي تترجم ما جاء في المنهاج من حيث المحتويات التعليمية وطريقة عرضها على المتعلّم والكفاءات التي تستهدفها وكيفية تقييمها، نعتبر هذه المبادرة لعقد ملتقى علمي يتناول فيه المختصون بالدراسة والتحليل الكتب المدرسية المقترحة لتعلّم اللّغة العربية وتعليمها في مختلف أطوار التعليم أحد أشكال مساهمة قطاع البحث العلمي في إثراء عملية الإصلاح الشامل التي تخص منظومتنا التربوية.

ويجدر التذكير في هذا الصدد أن السلطات العمومية كانت ولا تزال منشغلة بهذه المسألة التي تعتبرها من بين الأولويات انطلاقا من إيمانها بالدور الأساسي الذي يلعبه البحث العلمي في سبيل التطوير المنسجم للغة العربية.

ومن ثمة أقر المشرّع في القانون رقم 98-11 المتعلّق بالبحث العلمي والتطوير التكنولوجي برنامجاً وطنيا للبحث خاصا باللغة العربية وحدد محاوره الأساسية في

التقرير العام الذي أرفق بالقانون. علما أنه تم وضع شبكة وطنية للبحث تختص باللّغة العربية وتضم مخابر البحث الجامعية والكفاءات العلميّة والمركز الوطني لتطوير اللّغة العربية وينتظر من خلال ذلك تشجيع الذّكاء الجماعي في سبيل تعزيز قدرات الدراسة التقييمية والاستشرافية.

إنّ هذا المركز الذي أحدث سنة 1991 يتكفّل أساساً بـ :

- إجراء بحوث نظرية وتطبيقية حول تطوير اللّغة واللسانيات العربية،
- تطوير مناهج الترجمة وتقنياتها بغية الاستجابة لاحتياجات المنظومة التربوية والتكوين والبحث،
- تنفيذ مشاريع البحث في ميدان علوم اللسان وتقنياته المطبّقة على اللّغة العربية واللّغات المستعملة في التعليم من أجل تطوير اللّغة العربية على الصعيدين التعليمي والتكنولوجي.

ونعتقد أنّ الإشكالية التي يتناولها الملتقى تندرج في المنظور الذي تبناه المشرّع بالنسبة للبحث العلميّ في مجال اللّغة العربية، لا سيما فيما يخص تطوير المنظومة التّربوية والتعليم والتكوين وتحسين نوعية هذا الأخير بالدّرجة الأولى.

ودون إطالة، أحيل الكلمة إلى الأساتذة والباحثين الكرام، لمباشرة العمل في الإشكاليات المطروحة ضمن محاور هذا الملتقى والخروج بتوصيات من شأنها أن تساهم في الإصلاح التربوي في الجزائر.

أشكركم على حسن إصغائكم وأتمنى لكم كامل النّجاح لأشغالكم وأشكر بالخصوص الذين سهروا على تنظيم هذا اللّقاء العلميّ المتميّز والمشاركين في أشغال الورشات.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وقفة وفاء لذكرى
المرحوم الدكتور عثمان حشلاف

كلمة تـأبين

عبد القادر هني
مدير المدرسة العليا للأساتذة
في الآداب والعوم الانسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

السيدة معالي الوزيرة المنتدبة للبحث العلمي،

السيد مدير مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية،

السيد رئيس المجمع الجزائري للّغة العربية،

السيد رئيس المجلس الأعلى للّغة العربية،

عائلة المغفور له الدكتور عثمان حشلاف،

السّيدات والسادة الحضور،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد،

عندما هاتفني أخي الأستاذ الدكتور رشيد بن مالك، وكلّمني عن تنظيم مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية ملتقى وطنيًا حول "الكتاب المدرسي في المنظومة التربوية الجزائرية"، في هذا الموعد الذي نلتقي فيه اليوم، أتم كلامه بما لم يكن قد خطر لي على البال ، فقد أسرّ لي يومها أنه ينوي تزيين هذه المناسبة بتكريم المغفور له الأستاذ الدكتور عثمان حشلاف، الذي اختاره الله إلى جواره في أيامٍ حُرُمٍ من الشهر المنصرم وذلك يوم 14 من الشهر الذي ولّى من السنة التي نحن فيها، فوقعت فكرته الإنسانية هذه من نفسي موقع إكبار وإجلال وإعجاب أقول موقع إعجاب ؛ لأن التعجب يكون في مألوف العادة من الأشياء العظيمة التي لا نتوقعها في لحظة ما.

حقيقة لم أكن أتوقع أن تدور بخلَدِ أخي رشيد هذه الفكرة البتة، لا لأن الفطنة تنقصه أو أن تقدير وتعظيم الرجال ليس من مألوف أخلاقه وشيمه، إنما

لأن معرفته بالدكتور حشلاف في حدود ما أعلم، حديثة حداثة وصوله إلى مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، وبالرغم من ذلك لم يفته التفكير في تخليد باحث جادّ ومخلص بتكريم كهذا، الذي نعيش وقائعه في يومنا هذا، في الوقت الذي كان منتظرا أن تكون هذه الالتفاتة السخية من مؤسسة أو مؤسسات أفنى المرحوم عمره بين ظهرانيها، لكن فضل الرجال لا يظهر في أوقات السعة والرخاء وإنما في أوقات الشدة والمحنة، فطوبى لك أخي رشيد أن حباك الله عزّ وجل بأجر هذه المكرمة.

أخي رشيد، لقد أركبتني مركبا وعرا وجشّمتني أمرا صعبا، إذ كلّفتني ونعم التكليف، وقدمتني ونعم التقديم، لأتناول الكلمة في رجل عزيز وأنت تعلم يقينا عثرات قلمي، وبكاءة لساني، وضعف بياني في مثل هذه المواقف المهيبة التي تتطلب ما تتطلبه من رباطة جأش وطلاقة لسان وقوّة خطاب، مما لم أفطر عليه وبضاعتي فيه مزجاة ولا حول لي فيه ولا طول، فليعذرني المرحوم في دار الحق وأهله أوّلا وأنت ثانيا والسادة الحضور ثالثا على ما سيعزو كلمتي من اختلال لغة واضطراب نسج ومن ضعف سلطان معانيها على مستمعيها ممّا أحسه تقصيرا جسيما في حق رجل من قامة الدكتور حشلاف رحمه الله، وربُّ العِزّةِ أعلم أن تقصيري هذا لم يكن عن رغبة أو اختيار أو عن ترح ما استولى على النفس غداة وقوع خبر رحيله عليها وقوع النبإ العظيم، فهي ما تزال على دهشتها وستظل ملتاعة متأججة متوقدة توقد جمر الغضى فأنى لها أن تهدأ وإن رغبت !

أيّتها السيدات أيها السادة، كيف لمن هذه هي حاله أن يقدّم كلمة وافية عمّن إذا فتحت الحديث عن أي جانب من الجوانب في حياته، وجدته ذا شجون يتشقق تشقق الأرض إذا زلزل زلزالها، فيعروك إحساس أنك في خضمّ بحر لجيّ يغمرك من كل جهة تأتيه منها، فتستنفد كلماتك وأنّى لك أن تستنفده، هذا هو الشعور الذي وقعت تحت حكمه وأنا أفكّر في كلمة عن المرحوم استجابة للتشريف الذي خصّني به السيد مدير المركز. فقد عدت لحظتئذٍ إلى الذاكرة فرحت أقلّب صفحات ماض بعيد بيني وبينه اليوم قرابة الثلاثين سنة، فتراءى لي المغفور له الدكتور عثمان شابا في مقتبل العمر مفعما بجدية وصرامة مع النفس باديتين على ملامحه، يقبل على المرحوم الأستاذ الدكتور : محمد مصايف في مدرج ابن باديس بجامعة الجزائر المركزية بين الحصتين في محاضرة النقد الحديث التي كان يقدمها لطلبة السنة

الثالثة بمعهد اللغة العربية وآدابها في سنتي 1978-1979، فكان يرقى إليه وهو على منبره بجسم نحيف وابتسامة بريئة لا تغادره مصحوبة بسلام على الحضور، أحسّه نابعا من أعماق نفس مؤمنة خجولة معتذرة على ما يمكن أن يكون غَصْبًا لحقّ من حقوق الطلبة في استفسار أستاذهم واستيضاحه في مسألة من المسائل التي تكون قد استغلقت عليهم أثناء هذه الوقفة. كان في مجيئاته هذه يتأبّط دوما حافظة تأبُطَ مَنْ يَعُضُ بالنّواجد على كنز عزيز، وكنا نسترق السّمع لما كان يدور بين الرجلين من حديث، فلم نكن نتبيّنه في وضوح، سوى إننا فهمنا، منذئذ أن الرجل باحث من الباحثين يعدّ عملا لنيل درجة علمية عالية، بيد أن بحثه بقي سرًا مغلقا علينا بحكم أن علاقته بنا لم تكن قد تخطّت وقتئذ عتبة العلاقة بالزائر الذي يطل في فترات تتراوح بين القرب والبعد، وما زلنا كذلك حتى قيّض الله لنا فرصة الاحتكاك به في مكتبة الطلبة في صائفة 1979، فازددنا منه قربا أثمر توطد علاقتنا به، لا سيما عندما أدركنا أنه يبحث في شاعر يعدّ ركيزة من ركائز الشعر العربي المعاصر وهو الشاعر العراقي بدر شاكر السيّاب، هذه القامة العملاقة التي استحقّت ريادته بامتياز واستحقّ الباحث الشاب عثمان لقب الرائد في الدراسات التي أنجزت حوله في الجزائر، على الأقل، وقد لا يجانبني الصواب إن قلت إنه من بين الأوائل في المغرب العربي الذين اتجّهوا إلى الكشف عن الجديد في شعره وإلى تأكيد ريادة الشعر الحر التي شككت فيها بعض الأقلام وسُمعت أصوات أخرى تناغي وتنازعه فيها. فقد أتاح له عمله الذي وسمه (التراث والتجديد في شعر السيّاب) أن يبحر في التراث إبحار العَالِم بمنعرجاته وسراديبه فتراءت له درره وجواهره التي أخرجها الشاعر من تحت الرماد فكانت العجينةَ التي انبثقت منها قصيدته، فكشف الباحث للناس وهو يصغي لخفقات التراث في هذه القصيدة ويتقصى آثارَه فيها، عبقريّة السيّاب في بعث الحياة فيما كان يبدو، بعد أن أناخ عليه الزمن بكلكله وهيل عليه ردم كثير، جثةً هامدة، فإذا بالقصيدة كما ظهرت في المرآة العاكسة التي صقلها عثمان لقرائه ماضيا موارا بالحيويّة يسعى سعي رجل بهي الطّلعة في ثوب أنيق، فوضع بين أيديهم من خلال ذلك مفاتيح جديدة لمقاربة الشّعر العربي المعاصر عامة وشعر السيّاب خاصة. وقد قدم ذلك بكفاءة علمية عالية وبتواضع جمٍّ لا مكان فيه للغرور والادّعاء، فتوّج هذا العمل بجدارة واستحقاق بشهادة الدراسات المعمقة في الأدب العربي من جامعة الجزائر عام 1980 بتقدير جيّد جدًا، وهو تقدير متميز في وقته

رافقته تهنئة من اللجنة المناقشة، ففتح له نيل هذه الشهادة الأبواب على مصراعيها لدفع بحوثه العلمية قُدمًا، فنال شهادة الماجستير من جامعة تيزي وزّو عام 1984 عن بحث آخر أكرم فيه قرّاءه بقراءة أعمق لحضور التراث في شعر شاعره المفضّل بدر شاكر السيّاب، فأهلّه ذلك للترقية إلى درجة أستاذ مساعد بالمعهد الوطني للصّناعات الخفيفة ببومرداس الذي انتمى إليه مدرسا للّغة العربية سنة 1977، فحاز بين مسيّريه وقتئذ وأساتذته وطلبته وموظّفيه احتراما وتقديرا عظيمين، عربونا لما أظهره من كفاءة علمية فذّة ولما تحلى به من انضباط وجدّيّة وقدرة على التواصل مع الغير ونسج العلائق مع النّاس، لذلك كان من الطبيعي أن يلقى مقاومة شديدة من هؤلاء الذين أحبوه ووقع من نفوسهم موقع الجوهرة من عقد فريد عندما داعبته بعد ثماني عشرة سنة قضّاها بين ظهرانيهم فكرةُ تغيير الأجواء واختياره المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، أسرة ثانية إيمانا منه، رحمه الله برسالته التربوية، وبما بمستطاعه تقديمَه لأجيال الغد المتوافدة على هذه المؤسسة من تكوين علميّ وتربويّ رصين، هم أحوج ما يكونون إليه، فانتزع بعد لأيٍ موافقة مسؤوليه، الذين عزّ عليهم التفريطُ في رجل من صنوه، فانتسب إلى المدرسة العليا التي وجدت فيه نعم الأخ والصديق والأستاذ، فسد فيها فراغا كبيرا كانت تتشكّى منه يومئذ في تدريس اللغة العربية وآدابها وفي تأطير طلبة الدراسات العليا بحكم أهليته التي خولتها له شهادة دكتوراه الدولة التي حصّلها من جامعة الجزائر في جوان 1993 بإشراف الأستاذ (الدكتور عبد الله خليفة الركيبي) -أطال الله في عمره- عن موضوع اختار أن يلتفت فيه هذه المرّة إلى الحركة الأدبية في أقطار المغرب العربي، فوسم دراسته (الصورة والرمز في شعر المغرب العربي المعاصر) فاستحق ما طلع به على الناس أن ينعت في الأوساط الأدبية العلمية بالدراسة الجادة الرّصينة سوى إنّ ذلك لم يورثه صلفا أو كبرياء أو غرورا ولم يدفع به إلى إلقاء عصا ترحاله والاستكانة إلى الراحة، فها هو ذا يجمع إلى المهام التي أناطته بها المدرسة من تدريس ومتابعة لطلبة التدرج ومابعد التدرج توجيها وإشرافا على مذكراتهم وأطروحاتهم ومشاركة في تقييمها وتقويمها ومناقشتها، فضلا عن الأعباء التي من هذا القبيل التي قبل بنفس كريمة سخيّة ومحبّة للخير التكفل بها في مؤسسات جامعية أخرى. قلت ها هو ذا يجمع إلى كل ذلك الحرصَ الشديدَ على مواصلة البحث في قضايا أدبية ولغوية وتربوية بهمّة قعساء، لا تلين لها قناة وبنفس شديدة الإيمان بأن

المستقبل للعلم، ولمجتمع المعرفة، وأن الأستاذيّة لا معنى لها إذا ما انقطع صاحبها عن البحث، وانغلق فيما فات وخبت جذوته، يلقّنه لطلبته على أنه العلمُ كلُّ العلم دون مراجعة أو إضافة أو تطوير في عالم تسابق أُمَمُهُ لاستحواذ بعضها على بعض والظفر بالغلبة ولا غلبة إلاّ بالعلم. هذه فكرة كانت شديدة الرسوخ في نفس الدكتور عثمان فلننصت إليه يخاطب طلبته وزملاءه الأساتذة في الدرس الافتتاحي للسنة الجامعية في موسم 1999-2000، ملحّا على هذه الفكرة التي كانت من بين الهواجس العلمية التي شغلته في حياته رحمه الله، فقد قال في كلمته بهذه المناسبة : "وخطر لي أن موضوع اللغة والتعليم سيكون سلاحَنا في مواجهة حتميّة العولمة بكلّ ما تحمله من حوافز التجديد وأخطار التهديد، لأنّ أي تعليم هادف لا بدّ أن يمرّ حتما بمرحلة تعلم اللّغةِ الوطنيّة وإتقانها، بوصفها مقوّما رئيسا للشخصية القومية ومظهرا للسّيادة، وهذا لا يعني بحال إغفالَ تعلمِ لغات أخرى أو الانتقاصَ من جدواها ، فالعولمة من جملة ما تعنيه تقبّلَ الآخر في ثقافته والتواصلَ معه بلغته ولا يتحقّق هذا إلاّ بتعلم اللغات الحية وإجادتها، فليس هناك من تعليم من دون لغة ولا معلّم من دون أن يجيد تلك اللغة نطقا وكتابة، وهذه هي الغاية التي تسعى المدرسة العليا إلى تحقيقها من خلال تكوين أساتذة في مختلف فروع العلوم الإنسانية وفي كلّ مستويات التعليم"[1]. بمثل هذا الوعي وهذا الفكر النيّر، كانت دعوته للانفتاح على الآخر الغربيّ من دون الانصهار أو الذوبان فيه، وذلك بالتمسك الشديد بعناصر الشخصية الوطنية والقومية، التي تعدّ اللغة مقوّما رئيسا من مقوّماتها.

من هذا المنظور كانت دعوته فيما أنجزه من أعمال علمية إلى نبذ الجمود واجتزار ما خَمُدَتْ جمراته، وانطفأت ودعا إلى العمل على تطوير المعرفة وتجديدها كما نقرأ ذلك في مقاله الذي وسمه "حول تكوين المكونين أيضا وظاهرة تقادم المعرفة، منهج تفسير النهوض الأدبية نموذجا" الذي نشره في العدد التاسع من مجلة المبرز سنة 1997، وفيه تأكيد واضح على متابعة الجديد في ميدان المعرفة والإسهام فيه من أجل الارتقاء بالتعليم والنهوض بالمجتمع، فممّا قاله في هذا الموضوع : "إنّ المعرفة العلمية بمضمونها الواسع في نموّ مستمر وتطور دائم لا تقف عند هذا الحدّ وتكاد تتجدّد أشكالها ومظاهرها في كلّ حين... أدّى هذا النمو المتسارع في الأفكار

[1] عثمان حشلاف، "التمكّن اللّغوي أساس تحصيل العلوم الإنسانية، وشرط للقيام برسالة المعلّم"، مجلّة المبرّز، العدد 13، جويلية-ديسمبر، 1999، ص 42.

والوسائل إلى تراكم معرفيّ وتكنولوجي ضخم، نتج عنه أمران لهما تأثير خطير ومباشر على مؤسّسات التعليم والتكوين ونوعية التعليم وعلى المجتمعات البشرية كلها"[2]، من منطلق هذه الفكرة كانت عودته بل ودعوته إلى إعادة قراءة الشّعر الجاهلي في مقال له بعنوان : "عَالَمُ القصيدةِ الجاهلية" (القضايا الكبر)، قراءة جديدة في نموذج القصيدة "المعلقة" إلى ما هنالك من إنجازاته العلمية رحمه الله، ممّا لا يسمح ضيق المقام بالعودة إليها كلّها للوقوف وقفة المستأني المتريّث على تفاصيل أفكاره في القضايا التي جعل منها هَمَّهُ ومَشْغَلَهُ وكرّس لها حياته العلميّة، فما ذكرته ليس سوى غيض من فيض، ممّا يمكن أن يُستدلّ به على تفانيه في خدمة العلم وفي خدمة الأمّة التي آمن بعبقريتها الكامنة، وقدّم فكره وقودًا لنهضتها من خلال كتاباته ومن خلال دروسه التي كان يريد أنْ يُكَوِّن من خلالها جيلا قادرا على التنافس، قادرا كما قال : "على فهم حقيقة الصراع الثقافي والمعرفي القائم في أمم العام اليوم"[3] وربح معركته، وقد ظلّ مؤمنا برسالته التربوية والعلمية والحضارية هذه، إلى آخر لحظة في حياته، فقد كان، وهو يودّع الأهل والأحبّة والأصحاب ويتهيّأ بنفس مؤمنة مطمئنة للإياب إلى جوار ربّه، متمثلا طلبته من حوله، فراح يحاضر لهم بجديته المعهودة، ثم ودّعهم بكلمة أخيرة فقال يخاطبهم : "الآن يحق لي أن أستريح، فاستراح بأن أسلم روحه إلى بارئها، تاركا وراءه القلوب دامية والعيون باكية والنفوس مكلومة ملتاعة... فالله أسأل أن يتغمّده برحمته الواسعة وينزله منزلا طيّبا رفيعا بين الأنبياء والصالحين والصّديقين في جنّته الواسعة، ويُلْهِمَنا وذويه الصبر والسلوان ﴿إنا لله وإنّا إليه راجعون﴾

[2] عثمان حشلاف، مجلّة المبرّز، العدد 10، 1998، ص 17.

[3] عثمان حشلاف، "حول تكوين المكونين وظاهرة تقادم المعرفة"، مجلّة المبرّز، العدد 9، ص 23.

كلمة تأبين

صالح بلعيد
رئيس المجلس العلمي
مركز البحث العلمي
والتقني لتطوير اللغة العربية

يقول المولى تعالى : ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

باسم زملائي في المجلس العلمي لمركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، أتقدّم بهذه التعزية الصادقة لعائلة أستاذي عثمان حشلاف رحمه الله، الذي غادرنا وهو صغير، غادر مجالستنا في المجلس العلمي، وهو يظلّ مبتسماً بسيطاً متواضعاً شاكراً ودوداً ناصحاً موجّهاً. غادرنا الأستاذ حشلاف دون علم، غادرتنا وحدك يا أستاذي، وأراك :

وأنت تموتُ وحدك ليس يدري لموتك لا الصّغير ولا الكبير

ولكني أرى فيك القوّة والصمود، وأنت تعاني المرض، ولا تشكو لأحد، فأراك وحدك كبيرًا، وأنت الكلّ مع أولئك الصغار، ما نطقتَ ولا شكيتَ، ولا انحنيتَ.

الأستاذ حشلاف : أنت بيننا وفي جوّك القديم، حفظنا مقامَك، وقد تذكرنا دورَك وعلمَك الذي أعطيته لنا فبقيتَ كما كنتَ، فلا تجزع فكلّ الناس إلى ذهابٍ ذهابٌ. الأستاذ حشلاف : نحن لا ننوح عليك، لأنك لم تمت، فكيف يموت من ترك العلم والأولاد والطلاب، ألا نتمثل قول الرسول ﷺ : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له). تركت الصدقات الجارية بطلابك الذين احتفوا بك، وبمر يديك الذين لازموا حلقاتك العلمية. أنت لم تمت فقد تركت العلم الذي ينتفع به، فها هي كتبك تذكرنا بك، أنت لم تمت

فقد تركت أولاداً مخلصين يتصدّقون عليك بأعمالهم الخيرية، وتنزل عليك الحسناتُ لتضافَ إلى ثِقل ميزان حسناتك.

الأستاذ حشلاف : إنّ هذه الوقفة هي إقرار بما قدّمته لمركز البحث، وهذه اللفتة التي قام بها مديرُ المركز ومساعدوه اعتبارٌ أخلاقيّ لجُهْدٍ علمي كنتَ قد غرسته فينا، وأنت تشجعنا على المضي قدماً للرّقي بالمركز، ونحن في هذا المقام عملنا على رفع مقامك، ونعتبر الذكرى للإنسان عُمْراً ثانياً.

رحماك رحماك يا أيّها الأستاذ. إننا نعرف مقامك العلمي، ونعرف أنك تكره النحيب، وكنت توصينا وتقول :

لا تنوحـــوا لفراقـــي حســـرةً　　أنا من يكره أصواتَ النحيبِ

وقد فارق الناسُ الأحبّةَ قبلنا　　وأعيا دواءُ الموتِ كلَّ طبيبِ

وها أنذا لا أبكيك ولكني أرثيك، أرثيكَ ولست بشاعر، ولا يأتيني سَجْعُ الكهّان ولكن لا أستطيع تعقيل بيتين جاءا بخاطري، ونزلا قريحتي، وأقول فيهما :

لفقدكَ يا عثمـــانُ أنتَ معاهـــدٌ　　تداعى الحِجا فيها على الخُلُق الجمِّ

أيبكيك خَلْقٌ عالج الثكل باكراً　　أم أنّ الحِجا يبكيك من حُرقة اليُتمِ

وماذا عساني أقول : إنّ قضاء الله لا يردّ، ونسأل المولى عزّ وجلّ أن يقرّب مقامكم الكريم إلى محراب الرسول ﷺ ونراك في جنة الخلد مطمئنا مبتسماً، فطوبى وطوبى لكم وحسن مآب ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

كلمة وفاء لذكرى رحيل الأستاذ عثمان حشلاف

عبد الحميد بورايو
مدير مركز أطلس الثقافة الشعبية

السيدة معالي الوزيرة، السيد رئيس أكاديمية اللغة العربية، السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، السيد مدير مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، السيد مدير المدرسة العليا للأساتذة، السيد رئيس المجلس العلمي لمركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، زميلاتي زملائي الأساتذة، السادة الحضور، السلام عليكم ورحمة الله.

ليس من السهل في مثل هذه المواقف الحديث عن شخص عرفته منذ حوالي أربعة عقود من الزمن... لقد قضينا معا مدة ثلاث سنوات على مقاعد الدّراسة، وجمعتنا مهنة التعليم الجامعي بجامعة تيزي وزّو، ثمّ بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، وقد توّج كل ذلك بالاشتراك في تأسيس مخبر "أطلس الثقافة الشعبية الجزائرية" في نهاية سنة 2003، التابع لكلية الآداب واللغات بجامعة الجزائر، والذي توليت مسؤولية إدارته منذ ذلك التاريخ، وكان الفقيد عضوا في مجلسه، حتى سنة 2006.

ليس من السهل الاستقرار على الجوانب التي يحتاج للمرء أن يتوقّف عندها ويتملاّها في مثل هذه المواقف التي تذكّرنا بالوضعيات والحالات التي جمعتنا بالشخص المعنيّ، الذي ربطتنا به علاقات شتى علمية وشخصية، غير أني وبمراعاة المقام وما تم ذكره من قبل الزملاء الذين تحدثوا قبلي، سأكتفي بالإشارة إلى أهم صفات الفقيد التي عرفتها فيه وأدركتها من تعاملي معه.

كان الفقيد يتميز بالجدّية والصّرامة والبساطة والرّوح العصامية والوفاء للأصدقاء وللمبادئ التي كان يؤمن بها، وبشيء كثير من المثالية أيضا. لقد جمعتنا مقاعد الدراسة بمعهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر في السنوات السبعينيات الأولى، وكنا منتسبين للمدرسة العليا للأساتذة، كان حينئذ مثالا للجدّ والمثابرة على الدّرس والتحصيل العلميّين والفضول المعرفي. ومما يذكره زملاؤه حتى اليوم كيفية انخراطه في الدّراسات

العليا وإنجازه لبحث المنهجية المتوّج لدروس السنة الأولى ماجستير داخل الثكنة العسكرية إثر اضطراره للالتحاق بصفوف الخدمة الوطنية الإجبارية في نفس السنة.

جمعتنا الأقدار مرّة أخرى خلال الثمانينيات في معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة تيزي وزّو، حيث كنا معا من بين مؤسّسي هذا المعهد وأعضاء هيئة التدريس فيه. وقد استعنت به، واستجاب لطلبي بطيب خاطر وبرغبة كبيرة في التعاون، وانطلاقا من ميول للاشتغال على مواد الثقافة الشعبية جمعا وصياغة وترجمة إلى اللغة العربية فوفّر لي مدوّنة من الحكايات الشعبية التي سجّلها عن والدته ثم ترجمها إلى العربية بعناية فائقة، بالصياغة البديلة للعبارات الشفاهية النمطية، متصرّفا في بعض عناصرها وفق ما أوحت له ثقافته ومطالعاته في المدوّنة السرديّة العربية القديمة خاصّة. وهي مجموعة من الروايات التي تنتمي لنوع الحكايات العجيبة والتي قدّمتها للطلبة في مادّة الأدب الشعبي الجزائري التي أدرّسها، وقد أثبتت بعضها في كتبي المنشورة وأخضعتها للتحليل المنهجي، وهي قيد النشر حاليا ضمن مجموعة من الحكايات الشعبية الجزائرية ستصدر قريبا.

ساهم معي خلال السنوات الأخيرة في مناقشة عدد من مذكّرات الماجستير ورسائل الدكتوراه التي عالجت موضوعات الأدب الشعبي الجزائري، وكان ذلك في معاهدة اللغة العربية واللغة الأمازيغية في كلّ من جامعتي الجزائر وتيزي وزّو، وكان يستجيب كلما دعوته للمشاركة معي في مثل هذه المناقشات، وأذكر هنا للأمانة رفضه لإحدى مذكّرات الماجستير حول الرواية الأمازيغية الحديثة وكان سبب رفضه موقفه المبدئيّ من قضية كتابة الأمازيغية بالحرف العربي أو اللاتيني، وكان رافضا للثاني، وكانت الطالبة المرشحة لنيل شهادة الماجستير قد اعتمدت على مدوّنة مكتوبة بالحرف اللاتيني، ممّا جعله يرفض مناقشة هذا البحث، وقال بصريح العبارة : "أجد في هذه المدونة لغة أخرى غير لغتي الأمازيغيّة".

استجاب المرحوم بكل حماس لدعوتي له إلى المساهمة معي في تأسيس مخبر أطلس الثقافة الشعبية الجزائرية، وكان عضوا في مجلسه طيلة دورة كاملة، ومن باب الأمانة أيضا أن أذكّر بأنه اعتذر لي قبل انتهاء العهدة بقليل وقدّم استقالته بسبب ارتباطه بنشاطات علمية أخرى تجري في المدرسة العليا للأساتذة، وهي المؤسسة التي ينتمي إليها وظيفيّا.

سلام على روح الفقيد وعوّضنا الله فيه بجعله نموذجا تقتدي به الأجيال في مضمار الاجتهاد العلمي والإبداع الثقافي.

المحاضرة الافتتاحية